مقدّمة

إن رسالة الإسلام شاملة، فهي تتعدى الحدود الإقليمية، و هي دعوة عالمية إنسانية في مبادئها، ودولية في نظامها، وأحكامها، مستمدة كل ذلك من الدستور الإلهي القرآن الكريم الذي جاء كاملا وشاملا لجميع الأحكام والأزمنة، وشرع مبادئ العلاقات بين بني آدم، والدبلوماسية أسهمت في إرساء العلاقات بين المسلمين وغيرهم وتنظيمها وترصينها بدل الحروب وكوارثها، فمن الخطأ أن كثيراً من الناس يعتقدون أن الإسلام لا شأن له بالسياسة الخارجية، فهم يظنون أن الإسلام إنما تناو الجانب الديني وربما تناول الجانب الاجتماعي داخل المجتمع الإسلامي، ثم لا شأن له فيما تجاوز هذا، ولما كان هذا الظن فيه أكبر إساءة إلى الإسلام لأنه يجعل المسلمين ينصرفون عن تطبيق جانب خطير وهام من جوانب الإسلام، فالحكومة الإسلامية لا يمكن أن تعتبر حكومة إسلامية بالمعنى الكامل والشامل إلا إذا التزمت بتطبيق الإسلام قولا وعملا في سياستها الخارجية إلى جانب تطبيقه، في سياستها الداخلية. لابدّ لأيّ دولة في العالم من التّعامل مع الدّول المجاورة عبر سياسة خارجية متّبعة من قبل السلطة في تلك الدّول. وتُبنى العلاقات الخارجية بالتّعاون، وحسن الجوار، وتبادل الزّيارات، وعقد الاتفاقيّات. والنبي صلى الله عليه وسلم كان يحيط بما يجري حوله في الدّول المجاورة، ويعرف أخبارها، على الرُّغم من ضعف وسائل الاتصال حينذاك، وبالتّالي دعاها إلى الإسلام. وقد اهتمّ النبي صلى الله عليه وسلم في بداية الإسلام بمخاطبة الملوك والرؤساء الدول العالم وزعماء القبائل، عبر إرساله المندوبين، وهم يحملون مذكرته الشّفويّة والخطّية، كمذكرته إلى ملك الحبشة النجاشيّ، وملك الروم فلافيوس هرقل أغسطس، والمقوقس عظيم القبط في مصر، وكسرى ملك الفرس. فإننا بحاجة إلى أن نقرأ الماضي قراءة صحيحة بقصد الاستفادة والإعتبار، وليس للنسخ والنقل مع اختلاف العصور والأزمان.

أسباب اختيار موضوع البحث:

تتمثل الأسباب التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع فيما يلي:

- التعرُّف على دبلوماسية الرسول صلى الله عليه وسلم.
- الاستفادة من رسائل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والزعماء في الدعوة وتقوية العلاقات الدولية في العصر الحاضر.
- عدم وجود –حسب علمي– بحث أو رسالة علمية شاملة تجمع بين تناول العلاقات الدولية في الإسلام وتحليل شامل لرسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى ملوك وزعماء عصره.

مشكلة البحث:

بُعِث الرسول صلى الله عليه وسلم في وسط بيئة جاهلية، كانت الوثنية الخالصة تغطي جوانب منها، في حين تسود اليهودية والمسيحية المحرَّفتان في أماكن أخرى. وقد كانت مهمة النبي صلى الله عليه وسلم الدعوة إلى التوحيد، والسعي إلى تخليص البشرية من الوثنية والشرك.

سلك النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته أساليب متعددة، ومرت دعوته بمراحل مختلفة، وعاش المسلمون وسط أقوام من المشركين واليهود والنصارى، وكان لابد لهم من التعامل مع تلك االبيئة. ولما قامت الدولة الإسلامية في المدينة كان لا بد لها من التعامل مع الكيانات السياسية والدينية المحيطة بها.

وقد بيَّن القرآن الكريم أسس العلاقة بين المسلمين وغيرهم في حال السلم والدعوة وفي حال العدوان والحرب. ومارس النبي صلى الله عليه وسلم العلاقات الدولية في ضوء الهدي القرآني، وكان من ذلك مراسلة زعماء وملوك عصره لعرض الدعوة الإسلامة. وتتمثل إشكالية هذا البحث في تحديد معالم العلاقات الدولية في الإسلام وتطبيقاتها في رسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى زعماء وملوك عصره.

أسئلة البحث:

يحاول هذا البحث على الإجابة على التساؤلات التالية:

- ما مفهوم العلاقات الدولية وما أهميتها؟
- ما أهم معالم السياسة الدولية في الإسلام؟
- كيف مارس النبي صلى الله عليه وسلم العلاقات الدولية من خلال رسائله إلى الملوك والزعماء؟

أهداف البحث:

يسعى هذا البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

- توضيح مفهوم العلاقات الدولية وبيان أهميتها.
- بيان أسس العلاقات الدولية في الإسلام.
- تحليل مضمون رسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والزعماء لإظهار جانب من ممارسته صلى الله عليه وسلم للعلاقات الدولية.

أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث في أن الإسلام محارب من قبل أعدائه قديماً وحديثاً، ومتّهم بأنه دين الإرهاب والفوضى والمشكلات والقسوة، وهذه كلها صفات لا تنطبق على دين الإسلام الحنيف. يزعم بعض الناس أن علم العلاقات الدولية والدبلوماسية وما يتعلق به من السفراء أو ما اصطلح على تسميته حديثاً بالتمثيل الدبلوماسي، قد نشأ في بيئات بعيدة عن ثقافة المسلمين، وأن المسلمين لم يكن لهم دور في قرار قواعد العمل الدبلوماسي.

فهذا البحث سيثبت فضائل الإسلام وثقافته، وأنه دين الإنسانية، والأمن والسلام في كل زمان ومكان.

الدّراسات السّابقة:

إن الباحث من خلال بحثه عن الدراسات ذات العلاقات بموضوع البحث، استخدم الدراسة المكتبية وشبكة الإنترنت لجمع المعلومات من الكتب المصادر والمراجع، والمقالات في هذه المجالات المختلفة، وفيما يلي الدراسات السابقة:

- أبوزهرة، محمد. (١٤١٥هـ/١٩٩٥م). **العلاقات الدولية في الإسلام**. دط. القاهرة: دار الفكر العربي.

  يحتوي الكتاب على مقدمة ثم الحديث لبيان الوحدة البشرية، ونظرة الإسلام نظرة شاملة لكل بني آدم، وقواعد العلاقات الدولية تشمل المساواة والتعاون الإنساني، والكرامة الإنسانية، والتسامح، والحرية، والفضيلة، والعدالة، والمعاملة بالمثل، والوفاء بالعهد، والمودة. تكلمت رسالته في حال الحرب، كما تحدثت عن العلاقات الدولية في السلم، والعلاقات في الحرب والباعث على القتال، والتمهيد للمعركة، ومنع التخريب، ومراعاة الفضيلة في أثناء الحرب وانتهاء الحرب إما بالموادعة أو بصلح دائم، أو بالاستسلام، وتقديم الأمان وحقوق الأسرى. وبالرغم من أن هذه الدراسة لم تتحدث عن رسائل الرسول إلى الملوك والزعماء مع أنها جزء من علاقات الدولة في الإسلام. كما أنه لم يوضح بعض المراجع الأحاديث.

- ضميرة، عثمان جمعة. (١٤١٩هـ/١٩٩٩م). **الأصول العلاقات الدولية في فقه الإمام محمد بن الحسن الشيباني**. ج١. دار المعالي.

تناول المؤلف في هذا الكتاب المقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة، ويتضمن كل باب جملة الفصول التي تندرج تحته، يتناول الباب التمهيدي نبذة عن الإمام محمد بن الحسن من حياته الدينية والسياسية والإقتصادية، والإجتماعية، والعلمية، والفكرية، ومكانته الفقهية حتى وفاته، كما

يتناول الباب الأول أثر الإمام محمد الحسن في العلاقات الدولية وقت السّلم حيث تحدث المؤلف عن مفهوم العلاقات الدولية وتطورها، وكذلك العلاقات بين المسلمين وغيرهم، والمعاهدات الدولية، والسفارة والسفراء. ذكر في هذه الدراسة بعض المعلومات أو جوانب البحث، هي ذكر تطور العلاقات الدولية عبر العصور، والسفارة والسفراء. هذه المعلومات قد استفاد الباحث منها في إجراء دراسته.

- الوداعي، علي بن حافظ بن سالم. (١٤٢٥-١٤٢٦هـ). **فقه الدعوة في رسائل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والأمراء**. رسالة ماجستير. السعوديّة: جامعة طيبة في كلية الدعوة.

يشمل هذا الدراسة على مقدمة، وتمهيد، وأربعة فصول، وخاتمة، وفهارس. تحدث الباحث في فصل الأول عن رسائل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والأمراء داخل الجزيرة العربية وخارجها. يتناول فصل الثاني عالميّة الدّعوة إلى الله من خلال رسائل الرسول إلى الملوك والأمراء، وفي فصل الثالث، تحدث عن الفقه الدعوي من رسائل الرسول إلى الملوك والأمراء، وأخيراً يتناول الفصل الرابع استخدام الرسائل الدعويّة من خلال الوسائل الحديثة. وقد استفاد الباحث كثيراً من هذه الرسالة الجامعية. ورغم أن الكاتب تناول في هذه البحث رسائل الرسول إلى الملوك والأمراء داخل الجزيرة العربية وخارجها، إلا أن هذه الدراسة خالٍ من تحليل تلك الرسائل. فرأى الباحث حاجة ماسّة إلى تحليل تلك المذكرات حيث يسهل للقراء والباحثين الاطلاع عليها، والاستفادة منها في الدراسات المستقبلية.

- المجامج، عبد الله. (١٤٣٧هـ-٢٠١٥م). **دبلوماسية النبيّ صلى الله عليه وسلم في رسائله**.

تناول الكاتب في هذه الدراسة المقدمة وخمسة فصول وخمسة مباحث وخاتمة، يتضمن كل فصل جملة المباحث التي تندرج تحته، يتناول الفصل الأول مشكلة الدراسة وأبعادها كما يتناول الفصل الثاني المبادئ الدبلوماسية والاتفاقيات، ويتناول الفصل الثالث والرابع دبلوماسية النبيّ صلى الله عليه وسلم، أما فصل الخامس يتضمن الخلاصة النتائج والتوصيات، استخدم الباحث منهج الوصفي المقارنة بطريقته العلمية الإستقرائية الإستنتاجي. وبالرغم من أن هذه الدراسة لم تتناول عن تحليل المضمون الرسائل النبيّ. وسيقوم الباحث بتحليل المضمون مراسلات النبيّ صلى الله عليه وسلم.

وباستقراء هذه الدراسة يتبين أنها تطرّقت إلى بعض جوانب الدراسة الحالية، وهي رسائل النبوية إلى الملوك والزعماء، وقد استفاد الباحث منها في إجراء بحثه.

- خطّاب، محمد شيت. (١٤١٧هـ-١٩٩٧م). **سفراء النبي صلى الله عليه وسلم**. ط١. جدّة: دار الأندلس الخضراء.

حرص المؤلف في مقدمة كتابه إيضاح عن سفارات النبيّ صلى الله عليه وسلم؛ فذكر المؤلف كل سفارة نبويّة في فقرتين: الأولى حول الأمير أو الملك الذي قصده السفير النبوي في تفاصيل سيرته في المصادر العربية، والأجنبية المعتمدة. أما في الفقرة الثانية فقد تحدث حول السفير النبوي والرسائل النبوية، وجهود السفير في سفارته وثمرات جهوده. وقد أبرز المؤلف عن التّدوين النبي صلى الله عليه وسلم وما ورد عن خاتمه والموادّ التي كتب عليها رسائل النبوية التي بعثها إلى الملوك والزعماء، والمخطوطات النبوية بعامة، والخط الذي كتبت به رسائل النبي صلى الله عليه وسلم. وقد استفاد الباحث كثيراً من هذه الدرسة، لأنها تطرّقت إلى بعض جوانب الدراسة الحالية.

التعليق على الدراسات السابقة:

الدراسة الحالية تختلف عن الدراسات السابقة لكونها تخص رسائل النبوية الى الملوك والزعماء، فيما عنيت الدراسات السابقة بالمجال العلاقات الدولية في الإسلام والسيرة النبوية وسفراء النبيّ صلى الله عليه وسلم كما هو في الدراسة الأولى والثانية والثالثة، والجانب التاريخي كما هو في الدراسة الرابعة، وأخيراً الدراسة الخامسة فهي تتعلق بالمجال سفراء النبيّ صلى الله عليه وسلم.

وبعد التأمل في الدراسات السابقة وجد الباحث أنها تتناول موضوعات متفرقة متشتّة، فرأى الباحث حاجة ماسّة وضرورة قصوى إلى تجميع هذه المعلومات في بحث واحد منظم بأسلوب علمية حديثة، ولتصويب المعلومات المهمة، ولتفصيل الأفكار الحديثة حول العلاقات الدولية من المسلمين وغيرهم. وسيقوم الباحث أيضا بتحليل مراسلات النبيّ صلى الله عليه وسلم للملوك والزعماء، من حيث الأسلوبي نصوص رسائل الرسول عليه الصلاة والسلام، وكذلك التحليل الكيفي لمحتوى رسائل النبي صلى الله عليه وسلم حيث يسهل للقراء والباحثين الإطلاع عليها، والإستفادة منها في الدراسات المستقبلية. وهذا مما دفع الباحث إلى العناية بهذا البحث ليكون إسهاما علميّاً في المكتبة الإسلامية العالمية.

حدود البحث:

يتناول هذا البحث ملامح العلاقات الدولية في الإسلام، وأسسها وقواعدها التي أرساها نبيّ الرحمة، ورسول الإنسانية صلى الله عليه وسلم ولاسيما ما ينبثق من رسائل الرسول صلى الله عليه وسلم التي وجّهها إلى الملوك والزعماء في الجزيرة العربية وغيرها.

منهج البحث:

إعتمد الباحث في طرح هذا الموضوع على المنهج الوصفي التحليلي الذي يعني الطريقة المنظمة لدراسة حقائق راهنة، متعلقة بظاهرة أو موقف أو أحداث أو أوضاع معين بهدف اكتشاف حقيقة جديدة أو التأكد من صحة حقائق قديمة أو أثارها والعلاقات المنبثقة عنه: وذلك بالستقراء المادة العلمية المتعلقة من مراجعها وما يتعلق بذلك من الكتب التراث في تلك الفترة.

هيكل البحث:

يحتوي هذا البحث على مقدّمة، وأربع فصول، وخاتمة. والمقدمة تتناول أسباب اختيار الموضوع البحث ومشكلته وأسئلته وأهدافه وأهميته والدراسات السابقة والمنهج المتبع.

الفصل الأول عالج مفهوم العلاقات الدولية وأهميتها.

الفصل الثاني تحدث عن العلاقات الدبلوماسية في دعوة النّبيّ صلى الله عليه وسلم.

الفصل الثالث تحدث عن رسائل النبوية الى الملوك والزعماء.

الفصل الرابع تحدث عن تحليل مراسلات النبي صلى الله عليه وسلم للملوك والزعماء.

الخاتمة: تتضمن الخاتمة أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها الباحث.

الفصل الأول
العلاقات الدولية في الإسلام

المبحث الأول
مفهوم العلاقات الدولية

المطلب الأول: العلاقات الدولية فى اللغة:

العلاقات الدولية مصطلح مركب من لفظتين، (العلاقات) و (الدولية)،[١] ومعناهما على النحو التالى:

١. **العلاقات:** جمع علاقة من الفعل الماضي علق يعلق عُلوقاً، والعلوق هو تدلي شيء من شيء أعلامنه؛ تقول: (علّقت الشيء إذا جعلته يتدلى من شيء وهو أعلى منه)، وكل شيء التزم شيئاً فقد علق به.[٢] وعلى ذلك فالعلاقات هي صلات تتصل الأشياء بها بعضها مع بعض.[٣]

٢. **الدولية:** الدولية مؤنث مشتقّة من دولي: والدولي نسبة إلى الدولة، كالبروناوي، تقال لمن هومن بروناي، والماليزية تقال لمن هو من ماليزيا.[٤] والدولي من الفعل (دَوَلَ)، ومصدره (دَولة) بالضم، والفعل (دَول) له معنيان:

أ. **التحول من مكان لمكان آخر:** تقول: (اندال القوم) إذا تحولوا من مكان إلى مكان آخر، و (تداول القوم الشيء)؛ إذا انتقل بين أيديهم.[٥]

ب. **الضعف والاسترخاء:** تقول: (دال الثوبُ) إذا بليَ من طول الزمن وشدة الاستعامل. والدولة بفتح الدال تطلق على المعركة، أو على من تكون له الغلبة فيها، الدولة فى الحرب دولة فلان؛ ؛ أي الغلبة فى الحرب له، ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ

---

[١] إبراهيم صبري مقلد. (١٩٨٧م). **العلاقات السياسية**. ط٥. الكويت: ذات السلاسل للطبعة والنشر. ص١٦٣.

[٢] ابن فارس، أحمد. (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م). **معجم مقاييس اللغة**. ج٤. عبد السلام محمد هارون (محقق). دار الفكر. ص١٦٠.

[٣] جمال سلامة، علي. (٢٠١٢م). **كتاب تحليل العلاقات الدولية دراسة فى إدارة الصرع الدول**. دط. القاهرة: دار النهضة العربية. ص٥.

[٤] محمد نصر محمد. (١٤٣٧هـ-٢٠١٦م). **التنظيم الإسلامي للعلاقات الدولية**. ط١. مصر: دراسات العربية. ص ٢٣.

[٥] محمد نصر محمد. (١٤٣٧هـ-٢٠١٦م). **التنظيم الإسلامي للعلاقات الدولية**. المرجع سابق. ص٢٣.

النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾.[٦] أي نقلبها ونصرفها، فمرة تكون الغلبة لطائفة ومرة تكون لأخرى. والدُولة بالضم تطلق على المال.[٧] قال الله سبحانه وتعالى: ﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ۚ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾،[٨] حيث أمر الله سبحانه وتعالى بتوزيع الفيء،[٩] على الأصناف المذكورين في الآية حتى لا يكون هذا المال دائراً بين أيدي الأغنياء فقط.[١٠]

الدولة في اللغة:

هي القوة والسلطان والغلبة.

أما الدولة في الاصطلاح القانوني: هي ما تكون من مجموعة متجانسة من الأفراد تمارس نشاطها على إقليم جغرافي محدد وتخضع لتنظيم معين،[١١] فهي ما تكون من عناصر ثلاثة: الشعب، والإقليم، والسلطة.

العلاقات الدولية في الاصطلاح:

هي العلاقات التي تقيمها الدول المستقلة ذات السيادة مع غيرها من الدول لتحقيق أهداف معينة بوسائل معينة.[١٢]

ويقصد بالعلاقات الدولية:

جميع أنواع الروابط والمبادلات التي تتم خارج حدود دولة واحدة. لذا فمن الضروري لقيام هذه الصِّلات أن يتوفر شرطان:

أولاً: أن توجد جماعات إنسانية منفرقة تتمتع بالتميز والاستقلال.

---

[٦] سورة آل عمران: الآية ١٤٠.

[٧] ابن فارس. (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م). **معجم مقاييس اللغة**. ج٢. دار الفكر. ص٣١٤.

[٨] سورة الحشر: الآية ٧.

[٩] الفيء: هو ماحصل عليه المسلمون من أموال أعدائهم دون حرب. ابن كثير. (١٤١٩هـ). تفسير **القرآن العظيم**. ط١. محمد حسين شمس الدين (محقق). دط. بيروت: دار الكتب العلمية. ص٩٥.

[١٠] ابن كثير. (١٤١٩هـ). **تفسير القرآن العظيم**. المرجع سابق. ص٩٥.

[١١] ثروت بدوي. (١٩٧٥م). **النظم السياسية**. دط. القاهرة: دار النهضة العربية. ص٢٨. كمالي. (١٩٨٥م). **مبادئ القانون الدستوري والنظم السياسية**. دط. دمشق: مطبعة جامعة. ص٢٠. محمود حلمي. (١٩٦٤م). **المبادئ الدستورية العامة**. دط. دار الفكر العربي. ص١١٥. بطرس غالي. (١٩٩٠م). **المدخل في علم السياسة**. دط. مصر: مكتبة الأنجلو المصرية. ص١٧٢.

[١٢] عنان، عبد الرحمان. (١٤٢٩/١٤٣٠هـ). **السفارة ودورها في تدعيم العلاقات الدولية**. مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الشريعة والقانون. جامعة الحاج لخضر باتنة. كلية علوم الاجتماعية والعلوم الاسلام.

ثانياً: أن تدخل هذه الجماعات فى علاقات سلمية مع بعضها البعض بصفة دائمة.[١٣]

وتتفق العلاقات الداخلية مع العلاقات الخارجية فى طبيعتها، وإنما الذي يفرق بينهما هو الوسط الذى تتم فيه كل صِلة. فالعلاقة الخارجية تتم بين دول مستقلة، فى حين أن العلاقة الداخلية تتم بين أشخاص فى دولة واحدة. لذا يكاد الإجماع ينعقد على أن الذاتية التى تميز العلاقات الداخلية عن العلاقات الخارجية تكمن فى أطراف هذه الصِّلات، فالدولة تعتبر شخصاً متميزاً، تملك بمقتضى حقها فى السيادة أن تتصرف بحرية فى النطاق الخارجي. ومن تجمع هذه الوحدات المستقلة ينتج نظام خاص من العلاقات يتميز أساساً بانتفاء التنظيم الجماعي وبضياع أية سلطة ملزمة فوق هذه الجماعات.[١٤]

ويعرّف بعض الكاتبين العلاقات الدولية بأنها:

"العلم الذى يعنى بواقع العلاقات الدولية واستقرائها بالملا حظة والتجريب أو المقارنة من أجل التفسير والتوقع".[١٥] وبعضهم يقصد بالعلاقات الخارجية ما يكون البلاد من روابط تقوم على أصل من قواعد عامة، وضوابط تحكم تعاملها فيما بينها باعتبارها مستقلة ذات سيادة.[١٦] إعتبر منظمة اليونسكو(*United Nations Educational Scientific and Cultural Organization (Unesco*

إن مادة الصِّلات الخارجية تشمل ثلاث موادٍ فرعيةٍ ولكنها متصلةٌ وهي:[١٧]

١. **السياسة الدولية:** وتتناول دراسة السياسات الخارجية للدول، وتفاعل تلك السياسات بعضها ببعض.
٢. **التنظيم الدولي:** ويشمل دراسة أهم المنظمات الدولية من عالمية مثل الأمم المتحدة *United nation*، أو إقليمية مثل جامعة الدول آسيا أو الدول العربية أو رابطة شعوب جنوب شرق آسيا *Association of Southeast Asian Nations* والإتحاد الأفريقي *African Union* أو فنية مثل هيئة العمل الدولية.
٣. **القانون الدولي:** ويتناول دراسة القواعد القانونية التي تنظم صِلات الخارجية بعضها ببعض، وعلاقاتها بالتنظيمات الدولية.

---

[١٣] ضميرية، عثمان جمعة. (١٤١٩هـ/١٩٩٩م). **أصول العلاقات الدولية في فقه الإمام محمد بن الحسن الشيباني**. ط١. دار المعالي. ص ١٧٦-١٧٧.

[١٤] جعفر عبد السلام. (١٩٧٥م). **الوجيز في القانون الدولي العام**. دط. القاهرة: دار النهضة العربية. ص ١٠٣. جعفر عبد السلام. (١٣٩٤م). **المنظمات الدولية**. دط. مصر: دار النهضة العربية. ص٣.

[١٥] محمد طه بدوي. (١٩٧٢م). **مدخل إلى علم العلاقات الدولية**. دط. بيروت: دار النهضة العربية. ص٧٣.

[١٦] عبد العزيز خياط. (١٤١٢هـ). **المعاهدات والاتفاقات**. ج٤. جدة: في مجلة مجمع الفقه الإسلامي. ص٥٠.

[١٧] بطرس بطرس غالي، ومحمود عيسى. (١٩٥٩م). **المدخل فى علم السياسة**. ط٧. القاهرة: مكتبة الأنجلو. ص٣٣٧-٣٣٨.

وهناك من يصور العلاقات الخارجية بأنها لا تشكل أكثر من ظاهرةٍ إجتماعية وأنها[١٨] "ليست سوى سلسلةٍ من المبادلات المادية والمعنوية التي تتم في إطار إجتماعي معين. وهي في هذا لا تختلف من حيث مضمونها عن الصِّلات التي توصف بأنها وطنية، فكلا هما يتمثل في مبادلات مادية أو معنوية، على أن الذي يميز هذه الطائفة من الصِّلات عن غيرها هو الوسط الإجتماعي الذي تتم فيه والذي فيه والذي يطلق عليه المجتمع الدولي". وقد دأب البعض على إطلاق مسميات شتى للعلاقات الخارجية منها السياسة الدولية *International Politics* وكذلك الشؤون الخارجية *Foreign Affairs* وكذلك الشؤون العالمية *World Affairs* وكذلك الشؤون الدولية *International Affairs* إلا أن تسمية العلاقات الخارجية تبدو أكثر شمولاً وإتساعاً، وهي توضح أن هناك علاقات أي رابط كما أن كلمة الدولية تحدد الموضوع الذى يدور حول هذا العلم. وهناك إشكالية جدلية بين المتخصصين في هذا العلم حول نوعية الصلة الدولية التى تدخل فى نطاق مفهوم العلاقات الدولية فمنهم من يرى ان العلاقات الدولية مفهوم ينصر إلى السياسة ولذلك فإن الأدعى أن تسمى العلاقات السياسية الدولية. إلا أن فريقاً آخر يرى أن العناصر الأخرى من ثقافيةٍ واقتصاديةٍ لا تقل أثراً فى العلاقات بين البلاد عن العنصر السياسي.[١٩]

وعليه فإن كل صلة يكون لها أثر واضح بين الدول تدخل ضمن هذا المفهوم. ومن العلماء من يرى أن مادة الصِّلات الخارجية هي مادة مستقلة بذاتها، إلا أن هيئة اليونسكو *Unesco* قد أقرت في عام ١٩٥٢م أن مادة الصِّلات الخارجية تعتبر جزءاً من مادة علم السياسة إستناداً على:

١. أن هدف العلاقات الخارجية وعلم السياسة واحدة، وهو دراسة السلطة والجماعة سواء كانت محليةً أو قوميةً أو دولية.
٢. أن وسائل البحث وأسس الدراسة في كل من الصِّلات وعلم السياسة واحدة.
٣. أن علم السياسة يدور حول دراسة الدولة و لا يمكن أن تقوم علاقاتٌ خارجية بغير وجود دولة، إذن فمادة العلاقات الخارجية جزءٌ من مادة العلوم السياسية.
٤. أن دراسة السياسة الخارجية جزء أساسي من مادة الصِّلات، وهذه السياسة الخارجية مترتبةٌ بنظام الحكم داخل الدولة، كما أن نظام الحكم جزءٌ من مادة علم السياسة.

---

[١٨] محمد السعيد الدقاق. (د.ت). **مذكرات في العلاقات الدولية**. دط. بيروت: الدار الجامعية. ص٨.

[١٩] طارق على جماز. (د.ت). **العلاقات الدولية**. الأكاديمية العربية المفتوحة فى الدانمرك، كلية القانون والعلوم السياسية، قسم العلوم السياسية، الدراسات العليا، (إمتحان عن بعد). ص٥-٦.

٥. دراسة السياسة الخارجية وهي جزء من دراسة العلاقات الدولية، بينهما روابط وثيقة لا تقبل الانفصال، وعلى هذا فعلم السياسة والعلاقات الدولية متصلان ولا انفصال بينهما.[٢٠]

يعرف سيمون دريفوس *Simon Dreyfus* العلاقات الخارجية بأنها:

"العلاقات التي تتجاوز حدود دولة واحدة والتي بحكم كونها واقعة في إطار المجموعة الدولية لا تخضع لسيطرة دولةٍ واحدة". ثم يستطرد: "لكن العلاقات الدولية بمفهومها الواسع هي علاقاتٌ سياسيةٌ واقتصاديةٌ واجتماعيةٌ وثقافيةٌ وايدلوجيةٌ وعسكريةٌ على مستوى الدول ومجموعات الدول والمنظمات الدولية البين حكومية والمنظمات الغير حكومية والشعوب التي تناضل من أجل الحرية".[٢١]

ويرى الماكسيون *Marxists* أن صِلات الدول ببعضها البعض وسياساتها الخارجية إنما هي امتدادٌ للسياسة الداخلية، وتعكس طابع النظام السياسي والإجتماعي للدولة.[٢٢] واتساقاً مع هذا المعنى فإن علي ثفيق يقول: "يتضح لنا أن علم العلاقات الدولية يهتم بمشكلات المجتمع الدولي والسياسات الخارجية للدول التي هي امتدادٌ للسياسات الداخلية، وبحدد مناطق الخطر، ومواطن الضعف ويشير بالحلول لتفادي الخطورة وتعويض الضعف".[٢٣]

يعرف جون بورتون *John Burton* العلاقات الخارجية بأنها: "علم يهتم بالملاحظة والتحليل والتنظير من اجل التفسير والتنبؤ" ويعرفها رينولدز *Reynolds* "أنها تهتم بدراسة طبيعة وإدارة والتأثير على العلاقات بين الأفراد والجماعات العاملة في ميدان تنافس خاص ضمن اطار من الفوضى وتهتم بطبيعة التفا علات بينهم والعوامل المتغيرة المؤثرة في هذا التفاعل" ويعرفها ماكيلاند *Mack eland* بأنها: "دراسة التفاعلات بين أنواع معين من الكيانات الاجتماعية بما في ذلك دراسة الظروف الملائمة المحيطة بالتفاعلات".[٢٤]

---

[٢٠] بطرس بطرس غالي (١٩٥٩م). **المدخل في علم السياسة**. ط٧. القاهرة: مكتبة الأنجلو. ص٣٣٨-٣٣٩.

[٢١] علاء أبوعامر. (٢٠٠٤م). **العلاقات الدولية: الظاهرة والعلم الدبلوماسية والإستراتيجية**. ط١. عمان: دار الشروق. ص٢٣.

[٢٢] طارق على جماز. (د.ت). **العلاقات الدولية**. الأكديمية العربية المفتوحة في الدانمرك، كلية القانون والعلوم السياسة، قسم العلوم السياسة، الراسات العليا، (إمتحان عن بعد). ص٦.

[٢٣] علاء أبوعامر. (٢٠٠٤م). **العلاقات الدولية: الظاهرة والعلم الدبلوماسية والإستراتيجية**. المرجع سابق. ص٢٥.

[٢٤] توفيق، سعيد حقي. (١٤٣١هـ-٢٠١٠م). **مبادئ العلاقات الدولية**. ط٥. العراق: المكتبة القانونية. ص١٢.

المطلب الثاني: أهداف العلاقات الدولية:

يمكن تفصيل أهداف العلاقات الدولية على النحو التالي:

- **حماية الدولة:**

وهو ما يعرف في وضعنا الراهن بالأمن القومي، ويتطلب سيادة البلد على أراضيها، وحفظها لحدودها الجغرافية، وبعدها عن تدخل البلاد الأخرى عسكريا أو سياسيا.

- **رعاية المصالح المشتركة:**

إذ تعمل كل دولة لتوفير موارد ذاتية تكفيها عن الحاجة إلى مساعدة خارجية، لكن هذا في واقع الحال صعب المنال؛ لذلك تتوجّه الدول إلى أن تكمل نقصها عبر علاقاتها الدولية، وتبادل المنافع مع الدول الأخرى.

- **الأمن المشترك:**

فالأمن هو أحد الضروريات التي يحتاجها كل نظام سياسي يسعى إلى الاستقرار، وإذا كان الأمن الداخلي مسألة خاصة بكل دولة فهناك أمن خارجي مشترك بين دول العالم، تحكمه معاهدات تضمن عدم ظلم دولة على أخرى، وقد تتعاون دول معينة وتتفق على مواجهة أيّ عدوان يهدد دولة في الحلف.[٢٥]

- **السلام العالمي:**

إن الخلافات بين البلاد تهدد أمن العالم؛ لذلك اقتضت المصلحة أن يقوم نظام عالمي لرعاية السلام العالمي، ومنع حدوث خلافات بين البلاد، وتوفير آلية لحل الخلافات بينها؛ حفظا للأمن والسلام العالميين، وفي واقعنا المعيش تقوم منظمة الأمم المتحدة *United Nations* وأجزاؤها بهذا الدور.[٢٦]

---

[٢٥] البشير، عصام. (٢٠١٠م). **العلاقات الدولية رؤية إسلامية**. موقع: www.basaer-online.com

[٢٦] البشير، عصام. (٢٠١٠م). **العلاقات الدولية رؤية إسلامية**. المرجع سابق.

المبحث الثاني
التطور التاريخي للعلاقات الدولية

المطلب الأول: العلاقات الدولية فى العصر القديم

لقد نشأت العلاقات الخارجية منذ تطور الجماعات البشرية، بعد ذلك قامت القبائل وتطورت وعرفت الغزوة والسلم والتجارة بينهم، ومن هنا يمكن أن أقول بأن تاريخ الصِّلات السياسية الخارجية تاريخ قديم منذ وجود البشر. "إن الكثيرين من العلماء والباحثين في هذا المجال وخصوصاً الغربيين منهم يرون أن الصِّلات السياسية الخارجية لم تنشأ إلا منذ مؤتمر وستفاليا *Conference Westphalia* ١٦٤٨م عندما ظهرت البلاد الوطنية". فبهذ الناحية "لا نشاطرهم هذا الرأي وإلا كيف يمكننا أن نفسر المعاهداة التي وقعها رمسيس الثاني مع ملك الحبش سنة ١٢٧٨ ق.م والتي نصت على عدة مبادئ قيام سلام وامن بين البلدين وتحالف بين المملكتين وتتعهد المملكتان بأن لا تشن إحدا هما غارات على الأخرى".[٢٧]

كما أن الرأي يظهر عن تحيز واضح للغرب مفاده أن الصِّلات الخارجية بدأت ونشأت في الغرب دون الشرق.[٢٨] قديكون من الصعب، إن لم يكن من المتعذر، تحديد تارخ ظهور" العلاقات الدولية" تحديداً دقيقاً. فالتمييز بين الغزوة والسلام يبدو مرتبطا بتكون المجتمعات المنظمة. غير إن مستوى التنظيم يختلف اختلافا عظيماً، وفى المدة الزمنية نفسها، من قارة إلى أخرى، ومانعرفه عن هذا المستوى اليوم ليس أقل تنافرا.[٢٩] عندما خلق الله تعالى البشر جعل فيه نوعاً من النزوع إلى الحياة مع الآخرين و الإلتقاء بهم؛ وإذ أنه لا يستطيع أن يعيش منعزلاً بمفرده عن بني جنسه، يستوي فى ذلك الأفراد والجماعات والبلاد.[٣٠] ومن هنا نشأت الصِّلات بين الأمم الإنسانية، بل حتى بين الأمم غير الإنسانية، حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾.[٣١] وقد جعل الله تبارك وتعالى بني البشر شعوبا وقبائل وميّز بينهم ليكون هذا التمايز

---

[٢٧] الرويفي، محمد. (١٩٧٥م). **تاريخ العلاقات الدولية**. دط. الرباط: مكتبة المعارف. ص١٥.

[٢٨] جورج سباين. (١٩٥٤م). **تطور الفكر السياسي**، ترجمة حسن جلال العروسي. ط٢. مصر. ص٥.

[٢٩] مارسيل ميرل. (١٩٨٦م). **سوسيولوجيا العلاقات الدولية**. دط. القاهرة: دار المستقبل العربي. ص٢٣.

[٣٠] يقول ابن خلدون في "**المقدمة**": ج١. ص٦٩ – ٧٣: "الاجتماع الإنساني ضروري. ويعبّر الحكماء عن معنى العمران". صبحي المحمصاني. (١٣٨٠هـ). **فلسفة التشريع الإسلامي**. ط٣. (د.ن). ص ١٤ – ١٦.

[٣١] سورة أنعام: الآية ٣٨.

سبباً للتعارف والتعاون والتحابون، فقال تبارك وتعالى: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.(٣٢)

يعتزم بالعصور القديمة تلك الحقبة الزمنية الممتدة منذ اكتشاف البشرية الكتابة، المعتبر بداية التاريخ، إلى انقسام الإمبراطورية الرومانية في عام (٣٩٥م)، أو إلى سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية عام (٤٧٦م).(٣٣) ويرجع بعض الشراح من القانونيين فى بحثهم التاريخي عن أصول الصِّلات الخارجية في العصور القديمة إلى السكان الآسوية والإفريقية، حيث عرفت المدنيات الكبرى على التوالي فى مصر وسوريا وقرطاجة *Carthage* وبلاد اليونان *Greece* وروما، *Rome* وكلها على البحر المتوسط، وقد كشفت آثار بابل *Babil* و آشور *Assur*

ومصر والصين *China* والهند *India* عن قيام صِّلات دولية ووجود عدد من القواعد التى كانت تحكم هذه العلاقات.(٣٤)

- **ففي مصر:** أبرم رمسيس الثاني اتفاق صلح مع زعيم الحثيين فى شمال سوريا فى آسيا الصغرى، فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد، بقصد إقامة سلام دائم وتحالف وصداقة وتبادل تجاري بينهم، هي أقدم معاهدة سلام عرفها التاريخ، سميت بمعاهدة "قادش".(٣٥) كما نصت المعاهدة على تسليم المذنبين على ألا توقع عليهم عقوبات معينة. وكان ذلك حينما هاجم خيتا زعيم الحثيين *Hittites* على حدود مملكة فرعون في سورية، فهزمه رمسيس وطلب خيتا الصلح واقترح شروطاً سلّم فيها بكل ما طلبه رمسيس، وكتبه باللغة الهير وغليفية *Egyptian hieroglyphs* فى نسختين على صحائف من الفضة وبعثها مع الهدايا إلى زعيم مصر فرعون.(٣٦) "كما نجد فى الوثائق التاريخية التي تحدثت عن المصريين والبابليين القدماء نصوصاً لاتفاقات ومعاهدات عقدت مع مجاورهم تتعلق بسؤون مياه

---

(٣٢) سورة الحجرات: الآية ١٣.

(٣٣) "يرى بعض الباحثين أنه ليس من السهل تقسيم العصور الماضية إلى فترات محددة، تبدأ كل منها في سنة معينة و تنتهي في سنة معينة، لأن الحادثة التي تتخذ معياراً لذلك أو بداية للعصر التاريخي قد يكون تأثيرها منحصراً في بعض الجوانب دون الأخرى". سيدة إسماعيل كاشف. (١٤٠٣هـ). **مصادر التاريخ الإسلامي**. دط. بيروت: دار الرائد. ص١٥.

(٣٤) ضميرية، عثمان جمعة. (١٤١٩هـ/١٩٩٩م). **أصول العلاقات الدولية فى فقه الإمام محمد بن الحسن السيباني**. ط١. دار المعالي. ص ١٨٤.

(٣٥) مقالة خاصة. (٢٠١٦م). **معاهدة "قادش" أول معاهدة سلام مكتوبة في التاريخ بين الفراعنة والحثيين**. موقع: www.arabic.news.cn

(٣٦) سليم، حسين. (١٩٤٩م). **مصر القديمة عصر رمسيس الثاني وقيام الإمبراطورية الثانية**. دط. مصر: دار الكتب. ص٢٨٧-٢٩٧. العاني، إبراهيم. (١٩٧٥م). **القانون الدولي العام**. ط١. (د.ن). ص٧٧.

الأنهار المشتركة وحق كل بلد منها باستهلاك الماء وتسوية الخلافات حول الحدود وتبادل الأسرى".[٣٧]

- **وأما فى مملكة الحثيين؛** التي ظهرت في سبعة عشر قرناً قبل الميلاد[٣٨] من دويلات مدن حقيقية في الأناضول كان أشهرها "كوشار" و "نيشا" و "زالباونيشا" و "خاتوشا" "بوغز كوى الحالية" *Bogazale* وكذلك "بورشخاندا":[٣٩] فقد أظهرت الكشوف الحديثة فى انطلاقة القرن العشرين وثائق غنية بالمعلومات عن هذه المملكة التي كان لها دور فى أحداث آسيا الصغرى وما جاورها، فى مرحلة من تاريخ البشرية هامة، وقد كشف الوثائق ما كان عندهم من نشاط دبلوماسي وافر، وكانت اتفاقياتهم مع مصر الفرعونية كما تقدم نوعاً هاماً من أنواعه. وكان الحثيُّون *Hittites* يعتبرون العالم فيها وراء حدود بلادهم وباستثناء من تربطهم بهم إتفاقيات يقوم على احترامها السلم المتبادل دار غزوة، للأقوى فيها أن ينال ما تقدر جيوشه على تناوله، غُنْماً مباحاً، لا يحميه دونها قانون مّا.[٤٠]
- **وكانت الصين** ترسل البعثات الدبلوماسية للبلاد المجاورة، واحتوى قانون "مانو" *Law of Manu* الذى انتشر فى الهند سنة ألف قبل الميلاد، على قواعد تتعلق بالصِّلات الخارجية من غزوة وإتفاقيات وسفارات.[٤١]
- **أما اليهود؛** فقد كانت صِلتهم مع الآخرين كالعمالقة صِلة عداء لم تعرف السلم بأي حال. وعند القتال لم يقتلوا المحاربين وحدهم، بل عملوا القتل فى الشيوخ والنساء والأطفال فى عقر دورهم،[٤٢] ففي سفر صموئيل *Samuel* قال صموئيل لشاول: "فالآن اذهب واضرب عماليق *Amalek*، وحرّموا كل ماله، ولا تعفُ عنهم، بل اقتلهم رجلاً وامرأة، وطفلاً ورضيعاً، بقراً وغنماً، جملاً وحماراً".[٤٣] وكانوا ينظرون ولا يزالون إلى الأمم الأخرى نظرتهم إلى البشر وضيعة فى سلّم البشرية، وتضع نظمها وقوانينها على هذا الأساس، فيتم التفريق بين هؤلاء وأولئك أمام القانون وفي كثير من شؤون الاجتماع. فمن ذلك مثلاً أن

---

(٣٧) مجيد خدوري. (د.ت). **السّير للشيباني**. (د.ن). ص١٣. مقالة خاص (٢٠١٦). **معاهدة قادش أول معاهدة سلام مكتوبة في التاريخ بين الفراعنة والحثيين**. موقع: www.arabic.news.cn

(٣٨) لإلبرت ريحاني. (د.ت). **الموسوعة العربية**. (د.ن). ص ٢٨٤.

(٣٩) على، رمضان عبده. (٢٠٠٢م). **تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته**. ط١. القاهرة: دار نهضة الشرق. ص١٦.

(٤٠) بدر، محمد. (د.ت). تاريخ النظم القانونية والاجتماعية. (د.ن). ص ٥٢٩-٥٣١.

(٤١) محمود سامي جنينة. (د.ت). **القانون الدولي العام**. (د.ن). ص ٥٢-٥٣. جعفر عبد السلام. (د.ت). قواعد **العلاقات الدولية في القانون الدولي والشريعة الإسلامية**. (د.ن). ص ٥٢.

(٤٢) الخوري، فارس. (د.ت). **الشرع الدولي في الإسلام**. (د.ن). ص هـ.

(٤٣) سفر صموئيل الأول. (١٩٨٦م). **الإصحاح من العهد القديم**. دط. مصر: دار الكتاب المقدس. ص ١٥.

الإسرائيليين محرّم عليهم أن يقتل بعضهم بعضاً وأن يخرج بعضهم بعضاً من ديارهم، على حين أنه مباح للإسرائيليين، بل واجب عليهم أن يغزوا الشعوب الأخرى و "أن يضربوا رقاب كافة رجالها بالسيف ولا يُبْقُوا على أحد منهم، وأن يسترقوا كافة نسائها وأطفالها، ويستولوا على جميع مافيها من مال وعقار ومتاع أو ينهبوه نهباً".(٤٤) ومن ذلك أيضاً: "أنه لا يجوز للإسرائيلي أن يتعامل بالربا مع أخيه الإسرائيلي، ولا أن يأخذ منه رهناً بدينه، أما غير الإسرائيلي فيجوز له أن يتعامل معه بأشنع أنواع الربا الفاحش".(٤٥)

وأما الشعوب الأخرى التى لم يكن بينها وبين اليهود عداء؛ فقد أقاموا معهم صِلات دولية واحترامهم الإتفاقيات التي كانوا يبرمونها مع الشعوب الصديقة.(٤٦) وذلك نزولاً على حكم الضرورة، أو التزاماً بحكم الدين قبل أن يحرّفوه، حيث عقد سليمان عليه السلام مع حيرام ملك صور الفينيقي عهد سلام وتجارة، كانا فيه ندَّيْن متكافئين. وكان ملوك إسرائيل ويهودا يعاهدون ملوك آرام فى دمسق *Damascus* وغيرهم من أمراء الشام *Sham* ومصر *Egypt* وجزيرة العرب *The Arabian Peninsula*(٤٧) وفى هذا أيضاً تجد فى كتابهم ما يدل على ذلك كما في سفر التثنية؛ حيث جاء فيه: "حين تقترب من مدينة (غير مدن الاعداء التقليديين) لكي تحاربها استدعها إلى الصلح، فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك، فكل الشخص الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك. وإن لم تسالمك بل عملت معك معركاً فحاصرها، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب كافة ذكورها بالسيف. وأما النساء والأطفال والحيوانات وكل ما فى الدولة كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك، وتأكل غنيمة أعدائك التى أعطاك الرب إلهك. هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً (مدن غير الأعداء التقليديين) التى ليس من هؤ لاء الأمم هنا (الأعداء التقليديين) وأما مدن هؤلاء الشعوب التى يعطيك الرب إلهك نصيباً فلا تستبق منها نسمة مّا".(٤٨)

---

(٤٤) سفر التثنية، الإصحاح ٢٠.

(٤٥) سفر التثنية، الإصحاح. ١٥ و ٢٣. وقد حكم الله عزَّوجل في قرآن الكريم ذلك عن بني إسرائيل. وهذا كله بعد انحرافهم عن دين الله وتحريف كتابهم. ولذلك فإن الاستشهاد بالنصوص السابقة من كتبهم التي بين أيديهم إنما هو من باب الإلزام دون أن نعتقد صحة تلك الكتب. كما أن أنبياء بني إسرائيل – عليهم السلام – جاءوا بدعوة التوحيد الله وهي دين الإسلام وكان لهم صِلات مع غيرهم تقوم على التوحيد كدعوة سليمان عليه السلام لبلقيس. جمال عبد الهادي. (د.ت). **ذرية إبراهيم عليه السلام والمسجد الأقصى**. دط. القاهرة: دار الوفاء.

(٤٦) جعفر عبد السلام. (د.ت). **قواعد العلاقات الدولية**. دط. (د.ن). ص ٥٢–٥٣.

(٤٧) فارس الخوري. (د.ت). **الشرع الدولي في الإسلام**. (د.ن). ص د.

(٤٨) الندوي. (١٤٠٩/١٤١٠هـ–١٩٨٩م). **السيرة النبوية**. ط٨. جدة: دار الشروق. ص٢٦٣.

- **وأما اليونان:** فقد بلغت شأواً كبيراً فى الفلسفة والعلوم والفنون والآداب في ذلك الوقت، وكان لهذا أثره فى تنظيم الصِّلات بين المدن اليونانية *Greece* إلي تشكل الوحدات السياسية للدولة، كأثينا *Athens* وإسبارطة *Sparta* وتيرا *Tirana* وبولوني *Boulogne*، وكانت صِلة هذه المدن ببعضها إلى ماقبل الغزو المقدوني على قدر عظيم من الاستقرار، تسيطر عليها فكرة المصلحة المشتركة والرغبة فى بقاء الصِّلات الودية بحكم ما بينهامن صِّلات الجنس واللغة والدين. وبسبب التكامل الاقتصادي الذى طبع صِلاتها لذلك كانت تتبادل الممثلين، وتعقد المعاهدات فيما بينها، وتشترك في المؤتمرات، وتقبل التحكيم في المنازعات في زمن السلم. أما فى زمن الغزوة فكانت تراعي قانون معينة في إعلان الغزوة ومعاملة الاسرى ودفن الموتى، وحرمة أماكن العبادة والأماكن التي تقام بها الألعاب والرياضية.[٤٩]

وأما الوجه الثاني، وهو صِلات هذه المدن بغيرها من البلاد غير اليونانية، فكان أساسه نظرة الاستعلاء والتفوق على سائر الشعوب الأخرى؛ لأنهم يعتبرون أنفسهم عنصراً ممتازً، من حقهم استعباد الشعوب الهمجية–بنظرهم–والسيطرة عليها وإخضاعها؛ لأنها شعوب بربرية *Berbers*، لذلك يؤكد أرسطر *Aristotle* أن الطبيعة قد قضت أن يكون البرابرة عبيداً، حيث قال: "إنما الطبيعة وهي ترمي إلى البقاء هي التى خلقت بعض الكائنات للإمرة وبعضها للطاعة".[٥٠]

- **الرمان:** وبعد هبوط الحضارة الإغريقية *Greeks*، قام ورثتها الرومان فبسطوا سيطرة الإمبراطورية الرومانية *Roman Empire* على كل ما جاورها من الدول وأخضعوها لحكمهم، فكانت بمثابة البلاد التبعة. ولم يختلف الرومان كثيراً عن الإغريق فى نظرتهم إلى ما سواهم من الناس، وفى ادعائهم التفوق والسيطرة على العالم،[٥١] "فإن روما قد غزت اليونان سياسياً ولكنها ما لبثت أن تلقّت هي بدورها غزو اليونان فكرياً، حيث نشرو قوانينهم وأقتمو معهداً من الأحبار الذين تولوا الصداقة أو التحالف".[٥٢] ولقد ظهرت في روما فئة من القواعد القانونية ذات الطابع الديني، تحكم الصِّلات التى تنشأ بين الرعايا

---

[٤٩] ضميريّة، عثمان جمعة. (١٤١٩هـ/١٩٩٩م). **أصول العلاقات الدولية في فقه الإمام محمد بن الحسن الشيباني**. ط١. دار المعالي. ص ١٨٨.

[٥٠] أرسطوطاليس. (١٩٧٩م). **السياسة**. أحمد لطفي السيد (مترجم). دط. الهيئة المصرية للكتب. ص٩٤.

[٥١] ضميريّة، عثمان جمعة. (١٤١٩هـ/١٩٩٩م). **أصول العلاقات الدولية في فقه الإمام محمد بن الحسن الشيباني**. المرجع سابق. ص١٩٠.

[٥٢] حميد الله. (د.ت). **دولة الإسلامية والعالم**. دط. (د.ن). ص٧٩.

الرومان ورعايا الناس التابعة لروما، متميزة عن قواعد القانون المدني المحلي. وكان ذلك القانون يسمى ب "قانون الشعوب" أو "قانون الأمم" وكان يقوم على وضع هذا النظام والإشراف على تنفيذه هيئة مكونة من عشرين من رجال الدين، ولم يكن "قانون الأمم" قانوناً دولياً. يعني إنه لم يكن فرقة من الالتزامات والأحكام ارضعته البلاد بوجه عام لتحديد صِلاتها بعضها ببعض. فقد كانت بعض العادات العامة ترعى ويتقيد بها في السلم والمعركة؛ كالرعاية المتبادلة للتجار والدبلوماسيين الدوليين وقطع القتال لدفن الموتى، والامتناع عن استعمال السهام المسمومة، ونحو ذلك من السموم.[٥٣] وكان شرّاح القانون الروماني يصفون الأمم هذا بأنه قانون عام يعمُّ الأمم كافتها. ولكن هذا القانون لم يكن إلا من قبيل التكبر الوطني الكاذب. فلم يكن هناك إلا قوانين محلية كيفتْ بحيث تتفق مع السيادة الرومانية. وكان الغرض منها أن يستطاع بها حكم أبناء إيطاليا *Italy* والأقاليم التابعة للبلد الرومانية من غير أن يعطى لأهلها حق المواطنية الرومانية وغيرها من الحقوق المنصوص عليها في القانون المدني.[٥٤] أما رعايا الشعوب الأخرى؛ لم يكونوا يتمتعون أية حماية قانونية. بل كان يجوز استرقاقهم أو قتلهم، وكان كل أجنبي يدخل روما *Rome* يصبح هو وماله مِلْكاً لمن يقبض عليه من أهالي روما الأصليين.[٥٥] على أي حال؛ فقد تميز هذا الزمن بطابع العداء المتبادل بين الناس، وكان التعامل بينها في أضيق الحدود وبحرص شديد. من الطبيعي أن يكون الأمر كذلك في مجتمع يرفع شعار القوة والعرقية، ويعيش على أساس سيطرة البلاد القوية على بقية بلاد العالم.[٥٦]

المطلب الثاني: العلاقات الدولية في العصور الوسطى

يمكن تعريف العصور الوسطى تاريخياً بالقرون العشرة الواقعة ما بين سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية عام "٤٧٦م" إلى فتح المسلمين عاصمة الإمبراطورية الرومانية الشرقية "القسطنطنية"، على يد السلطان محمد الفاتح عام (١٤٥٣م) ويذهب المؤرخين إلى أنها تمتد إلى نهاية القرن الخامس

---

(٥٣) ضميريّة، عثمان جمعة. (١٤١٩هـ/١٩٩٩م). **أصول العلاقات الدولية في فقه الإمام بن الحسن الشيباني**. ط١. دار المعالي. ص١٩١.

(٥٤) ديورانت. (١٩٧٣م). **قصة الحضارة**. محمد بدران (مترجم). ج٢. بيروت: طبعة لجنة التأليف. ١٣٨٥-٣٨٦.

(٥٥) جنينة، محمود سامي. (١٩٤٤م). **الشريعة الإسلامية والقانون الدولي**. دط. القاهرة: لجنة التأليف والنشر والتربية. ص ٥٤. حميد الله. (د.ت). **دولة الإسلامية والعالم**. (د.ن). د. ص ٧٩-٨٠.

(٥٦) عبد الحميد الحاج. (١٣٩٥هـ). **النظم الدولية في القانون والشريعة**. دط. دار الإتحاد العربي للطبعة. ص ٨٤.

عشر.[٥٧] وفى هذه الزمان ظهرت الممالك الإقطاعية فى "أوروبا" *Europe*، ولم تكن المملكة وحدة تباشر السيادة الداخلية والخارجية. وكان السلطان للقوة والحق للأقوى.[٥٨] ثم جدّت مؤثرات كان لها دورها فى الصِّلات الخارجية، ومن ذلك:

- **انتشار دين النصرانية فى أوربا؛** حيث أصبحت الديانة الحكومي للبلد الرومانية، بعد أن اعتلى قسطنطين الذى اعتنق دين النصرانية في آخر حياته عرش الإمبراطورية سنة (٣٠٦)،[٥٩] وكان من آثار ذلك قيام صِلة دينية بين مجموعة البلاد "الأوربية" *Europe*، أدت إلى نشوء ما يسمى بالأسرة الدولية المسيحية، يتساوى أفرادها في الحقوق ولهم المثُل والمبادئ المشتركة نفسها، ويسلّم الجميع للبابا الكاثوليكي *Pope Of The Catholic* بالسلطة الروحية العليا.[٦٠] وظهرت فكرة جديدة للسلام العالمي فى شكل دينية تبسط بواسطة الكنيسة الكاثوليكية *Catholic Church* أجنحتها على العالم النصراني و تحاول وفق نظرياتها الدينية و أطماعها فى السيادة العالمية أن تفرضه على رعاياها. وبدأت رأي السلام بما يسمى ((هدنة الرب))[٦١] و تضافرت جهود البابا *Pope* والإمبراطورية للقضاء على العنف فى العالم المسيحى، ونشر السلام بين الرعايا المؤمنين في سبيل السعادة الأبدية.[٦٢] وقد ساعد على تكافل المجموعة النصرانية ظهور الدين الإسلامي وانتشاره حتى شمل مجموعة كبرى من البلاد صار يخشى ازدياد نفوذها وانتزاعها لسيادة العالم من النصرانية. وكان من أثر ذلك قيام الحروب الصليبية وما تركته من آثار.[٦٣] وعلى الرغم من هذا، فإن النصرانية فى "أوروبا" *Europe* كانت عقبة أمام نمو القانون الدولي بمعناه الحالى، الأمرين:

---

[٥٧] سعيد عاشور، عبد الفتاح. (١٩٩٢م). **أوربا فى العصور الوسطى**. ط٦. مصر: مطبعة نهضة. ص ٥٩. شيفل، فرديناند. (١٩٥٢م). **الحضارة الأوربية فى القرن الوسطى**. منير البعلبكي (مترجم). دط. بيروت. ص ١٢.

[٥٨] عبد الحميد، محمد سامي. (د.ت). **أصول القانون الدولي**. ج١. (د.ن). ص ٣٧-٣٨.

[٥٩] فيشر. (د.ت). **تاريخ أوربا في العصور الوسطى**. محمد مصطفى زيادة (مترجم). ج١. مصر: دار المعارف. ص٦-٧.

[٦٠] جنينة، محمود سامي. (١٩٤٤م). **الشريعة الإسلامية والقانون الدولي**. دط. القاهرة: لجنة التأليف والنشر والتربية. ص٥٦.

[٦١] هدنة الرب: قاعدة تقضي بأن لا يدخل الكنيسة أحد يوم الأحد حاملاً سلاحاً، وبأن لا تقوم غزوة، ولا يشرع سيف من مساء الجمعة إلى صباح الاثنين من كل أسبوع. وتراعى هذه القواعد في النزاعات المحلية أكثر منه فى الغزوات الكبيرة. أحمد العمري. (د.ت). **العلاقات السياسية الدولية**. دط. مصر: مكتبة الأنجلو. ص٣١.

[٦٢] منصور، علي. (١٣٩٠هـ-١٩٧١م). **الشريعة الإسلامية والقانون الدولي العام**. دط. القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. ص ٢٧-٢٨.

[٦٣] ياقوت، محمد كامل. (١٩٧٠م). **الشخصية الدولية في القانون الدولي والشريعة**. (د.ن). ص٢٨١-٢٨٥.

أ- أن الرابطة التي قامت عليها الصِّلات الخارجية كان من شأنها أن تقصر هذه الصِّلات على البلاد النصرانية فيما بينها، وتقصي عن الجماعة الدولية سائر البلاد غير النصرانية كالشعوب الإسلامية. فلا عجب إذن أن يصدر البابا *Pope* "نقولا" الرابع *Pope Nicholas IV* (١٢٩١م) و "البابا أوربانوس" السادس *Pope Urban VI* (١٣٨٩م) فتوى دينية تاريخية تقول: "إن الغدر إثم، ولكن الوفاء مع المسلمين أكبر إثماً".(٦٤)

ب- أن القوة البابا الدينية النصرانية وهيمنة الكنيسة على الشؤون الداخلية والخارجية تتنافى مع استقلال البلاد ومساواتها، وهو أساس القانون الدولي العام التقليدي.(٦٥) على أن تسلط الكنيسة ومحاولتها التدخل في كل شؤون البلاد النصرانية أدى إلى قيام نوعين من الصراع في العصور الوسطى هما: صراع مع البلد لكي تتغلب على أمراء الإقطاع تحقيقاً لوحدتها ومصلحتها، وتأكيداً لسيادتها، وكان لها الغلبة في ذلك. والثاني: صراع البلاد لكي تؤكد استقلالها في مواجهة الكنيسة وسلطان البابا،(٦٦) وقد انتهى هذا الصراع في غزوات الثلاثين سنة التي انتهت بإتفاق "وستفاليا" *Westphalia* سنة (١٦٤٨م)،(٦٧) وبمجبها أعيد إنشاء الصِّلات الخارجية بين القوى الأوربية التي تقود أعنة الحياة السياسية لسنوات عديدة، ووضعت أسس جديدة لتحديد حقوقها تحديداً واضحاً مرسوماً، كما انتهى نظام القرون الوسطى وقواعد القانون العام القديمة وفكرة الطموح في إنشاء إمبراطورية عالمية واحدة، وحل محلها اتحاد الدول الجرمانية بعد شطر أوروبا الوسطى إلى بلاد "كاثوليكية" *Catholic*

وأخرى "بروتستانتية" *Protestantism* وبرزت فكرة توازن القوى في الصِّلات السياسية الخارجية في عالم مابعد الإصلاح الديني.(٦٨)

---

(٦٤) محمد حميد الله. (د.ت). **أحكام أهل الذمة**. ج١. بيروت: دار العلم للملاين. ص ٢١٦. خدوري، مجيد. (د.ت). **الحرب والسلم في شرعة الإسلام**. دط. (د.ن). ص٣٧٣-٣٧٦.

(٦٥) جنينة، محمود سامي. (١٩٤٤م). **القانون الدولي العام**. دط. القاهرة: لجنة التأليف والنشر والتربية. ص ٥٦-٥٧.

(٦٦) كانت الكنيسة تسير على أتباعها بطغيانها الروحي والفكري والمالي والسياسي وكان رجال الدين يمثلون قمة هذه السيطرة. سفربن عبد الرحمن الحوالي. (١٤٠٢هـ). **العلمانية: نشأتها وتطورها وآثارها**. دط. جامعة أم القرى: منشورات مركز البحث العلمي وإحياء التراث. ص١٣٣-١٤٣.

(٦٧) عبد حافظ غانم. (د.ت). **القانون الدولي**. دط. القاهرة: دار النهضة العربية. ص ٤٩.

(٦٨) العمري أحمد سويلم. (د.ت). **العلاقات السياسية الدولية**. دط. القاهرة: مكتبة الأنجلو. ص ٥٣-٥٤.

- **ومن العوامل المؤثرة العلاقات الدولية:**

اكتشاف القارة الأمريكية *The discovery of American Continent* عام (١٤٩٢م)[٦٩] فقد أثار هذا الاكتشاف فيما بعد، قضايا دولية جديدة، في مقدمتها قضيتا الاستعمار وحرية البحار. ودفع ذلك فقهاء القانون الدولي إلى معالجة هذه القضايا، وظهرت فيها مؤلفات أهمها كتاب "جروسيوس" *Grotius Book* (البحر الحر) *Free Sea* دعم فيه مبدأ استقلال البحار وحرية التجارة مع الدول المكتشفة حديثاً، والذى كان له أكبر الأثر في توجيه القوانين الدولية في هذا الشأن إلى ما أصبحت عليه في العصر الحديث.[٧٠]

- وما أن بدأ تيار الأفكار يسير نحو المبادئ الملائمة حتى صدمته حركة رجعية؛ إذ ظهر كتاب "ماكيافيلي" *Machiavelli* ((الأمير)) *The Prince* في سنة (١٥١٣م)، الذى يمثل هذه الفعالية، ونشر به مذهباً يقوم على أنه "لاوجه لتطبيق علم الأخلاق في شئون الدولة))، وأباح للأمير أن يتظاهر بالرحمة والبشرية والشفقة والتدين، ويفعل عكس ذلك متى دعت إليه المصلحة. وكان يدعو إلى تكوين بلاد أكبر من الإمارات الصغرى للوقوف في وجه الدين الإسلامي الجديد. وانتشرت تعاليم "نيكولو ماكيافيلي" *Niccole Machiavelli* ودانت لها "أوروبا" *Europe*، واتخذ الملوك والقوّاد العسكريون مبادئه شعاراً لهم، واتجهت ميول شخصية سياسية نحو الفوضى الأخلاقية، وقامت على أصل خيانة والعداوة والدسائس. فكانت الغزوات في هدف القسوة والغدر والجور؛ قتل للشيوخ الكبار، والنساء، والأطفال الصغار، وتدمير للبلاد، وتعذيب للأسرى ثم إعدامهم بعد ذلك. مات "ماكيافيلي" *Machiavelli* سنة (١٥٢٧م)، لكن مذهبه بقي شائعاً من بعده زهاء قرن من الزمان بين رجال بلاد "أوروبا" *Europe* الذين تحرروا من قيود الأخلاق الفاضلة، فرحبوا بالفلسفة السياسية الحديثة المكيافيلية، وخلاصتها: ((أن الأنانية والمنفعة الذاتية سعار الدولة السياسي)). ولا يزال عقيدة (ماكيافيلي) *Machiavelli* منتشراً في معظم بلاد العالم.[٧١] إن كل ما وصفه (ماكيافيلي) *Machiavelli* في كتابه ((الأمير)) *The Prince* كان طابع ذلك العصر وما يتّبعه السادة، بل لم تك ثمة أساليب وردت في

---

[٦٩] يعزو الأوربيون اكتشاف أمريكا إلى كولومبس. ولكن الأبحاث العلمية تدل على سبق المسلمين لذلك منذ عام (١١٠٠م).

[٧٠] منصور، علي. (١٣٩٠هـ-١٩٧١م). **الشريعة الإسلامية والقانون الدولي العام**. دط. القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. ص ٦١.

[٧١] جنينة، محمود سامي. (١٩٤٤م). **القانون الدولي العام**. دط. القاهرة: لجنة التأليف والنشر والتربية. ٥٩.

هذا الكتاب لم يرتكبها الحكام منذ فترة طويلة ولم يتخذها عديد من رجال السياسة دينهم دائماً قبل ظهور (ماكيافيلي) *Machiavelli* بلا حاجة إلى الاسترشاد بكتاب ((الأمير))[٧٢] *The Prince*.

- وما كان لتلك الأفكار والمبادئ أن تنتشر دون أن تثير الشكوى وتدعو إلى شيء من الإصلاح والعلاج الشافي من تلك الأدواء؛ فقام مفكرون يعارضون تعاليم (مكيافيلي) *Machiavelli* ومعتنقيه قائلين: إن الصِّلات الخارجية يحكمها في حالتي الغزوة والسلم قانون أساسه العرف والحقوق الطبيعية لِبشر وللبلاد. ومن هؤلاء راهبا "اسباني" *Spanish* اسمه (فيتوريا) *Vitoria* و آخر اسمه (سوارس) *Suarez*. وقام في إيطاليا محامٍ هولندي *Holland* جروسيوس *Grotius* الذي وضع كتابه عن ((قانون الشعوب)) *Law of Peoples* وفيه تنظيم لكتابات أسلافه وتأصيل لها على أصل من التاريخ والنطق، مستفيداً من نظريات كانت موضع احترام وقبول من المفكرين في تلك الزمن. ولذلك ينعت كتّاب الغرب جروسيوس *Grotius* بأنه ((أبو القانون الدولي العام))[٧٣] *Father of general International Law*.

المطلب الثالث: العلاقات الدولية في العصور الحديثة

يربط القانون الدولي الوضعي في العصور الحديثة ارتباطاً وثيقاً بنشأة البلاد الأوربية واستقلالها، والتحولات الاقتصادية والسياسية والفكرية التي واكبتها؛ حيث ظهرت فكرة ((العائلة الدولية)) *International Family* في منتصف القرن السابع عشر، في إتفاق "وستفاليا" *Westphalia* (١٦٤٨م) وجد بعض المؤرخين الأوربيين مثل (ماكيافيلي) *Machiavelli* و (جروسيوس) *Grotius* يؤرخون بدون العصور الحديثة للقانون الدولي من هذه الإتفاق وهي التي أقامت القواعد التقليدية للقانون الدولي العام. وهي تبنى أساساً على وجود العائلة الدولية وحرية البلاد والمساواة بينها كافة في الحقوق بعد زوال سلطة "البابا" *The Pope*، وتطبيق مبدأ التوازن الدولي للمحافظة على السلم، وظهور فكرة المؤتمر الأوربي الذي يتألف من شتى البلاد الأوربية، والذي ينعقد لبحث مشاكلها على ضوء المنافع الأوربية، كما نشأ نظام التمثيل الدبلوماسي الدائم بواسطة سفارات

---

[٧٢] العمري، أحمد سويلم. (د.ت). **العلاقات السياسية الدولية**. دط. القاهرة: مكتبة الأنجلو. ص٣٣-٣٤.

[٧٣] سلطان، حامد. (د.ت). **القانون الدولي وقت السلم**. دط. القاهرة: دار النهضة العربية. ص ٢٦.

دائمة، وفتحت الباب لكتابة القواعد القانونية التي يجب أن تسير عليها البلاد فى صِلاتها.[٧٤] وبعد ذلك توطدت قواعد القانون الدولي العام التقليدية الخاصة بالسلم والغزوة والحياد تحت تأثير مجهودات علماء وشراح القانون الدولي العام وأعمال المؤتمرات الدولية اللاحقة لمؤتمر وستفاليا والحر كات التحررية التي قامت فى "أوروبا" *Europe* و "أمريكا" *America*.[٧٥] وقبل أن أفصل في تنمية القانون الدولي في "أوروبا" *Europe* في العصور الحديث يمكن أن أشير بكلمة مجملة إلى أنني لم أجد فرق كبير بينها وبين تلك العصور الأولى، على الرغم من التطور الفعلي في تدوين قواعد هذا القانون العام؛ ذلك أن فكرة توازن بين بني البشر أمام القانون تلك الفكرة التي طالما طالبت بها الشعوب وتشدقت بها الحكومات لم تتخذ بعد في نظر الغربيين صفة القانون العام الشامل. ألم يقل ((ستيوارت ميل)) *Stuart Mill* باستحالة تطبيق القانون على الشعوب الهمجية؟ أو لم يحدد لوريمير *Lorimer* على وجه الأرض مناطق ثلاثاً تخضع كل منها لقانون مختلف؟ ثم جاء ميثاق عصبة الأمم *The League of Nations* بعد الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٩م، فأقرّ هذا التقسيم وأكسبه سلطة القانون، وأخيراً شكّلت جمعية الأمم المتحدة *United Nations* بعد الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥م، فرأينا روح التفرقة وعدم المساواة لا يزال مسيطراً فيها على عقول الذين يتحكمون في مصير البشرية ويسطرن سيطرتهم ونفوذهم عليها.[٧٦]

إن الأهداف الأساسية لهذه المنظمة الدولية أي (عصبة الأمم) *The League of Nations*، تتمثل في صيانة السلام والأمن الدوليين وتوثيق التعامل بين البلاد وتنميته، من أجل الوصول إلى هذه الأهداف الأساسية تعهدت كافة البلاد بالالتزام بالمبادئ الاتية:

أ- عدم اللجوء إلى القوة من أجل حل القضايا الدولية.

ب- احترام قواعد القانون الدولي.

ج- احترام الالتزامات والعهود التي تنص عليها الإتفاقيات الدولية.

د- قيام صِلات طيبة بين البلاد على أصل العدل والشرف.

---

[٧٤] عبد السلام، جعفر. (د.ت). **قواعد العلاقات الدولية**. ط١. القاهرة: مكتبة السلام العالمية. ص ٦٠. جنينة، محمود سامي. (١٩٤٤م). **القانون الدولي العام**. دط. القاهرة: لجنة التأليف والنشر والتربية. ص ٦٢-٦٣.

[٧٥] شكري، محمد عزيز. (٢٠٠٠-٢٠٠١م). **مدخل إلى القانون الدولي العام**. ط٨. منشورات جامعة دمشق. ص٢٦. جنينة، محمود سامي. (١٩٤٤م). **قواعد العلاقات الدولية**. دط. القاهرة: لجنة التأليف والنشر والتربية. ص ٦٤-٧٤.

[٧٦] محمد عبد الله دراز. (١٩٣٩م). **دراسات إسلامية**. (د.ن). ص١٤١. ومقاله في المجلة المصرية للقانون الدولي. (١٩٣٩م). في المجلد الخامس. ص ٢ – ٣.

ويمكن أن أميّز في هذه العصور بين مراحل ثلاث لِتنمية القانون الدولي الحديث، حيث تمايزت الأسس أو القيم التي تقوم عليها العلاقات الخارجية الأوربية:

- ففي المرحلة الأولى، التي تبدأ من إتفاقيات صلح "وستفاليا" *Westphalia* عام (١٦٤٨م) حتى عام (١٨٥٦م) كانت النصرانية هي الأصل الذي تقوم عليه العلاقات الخارجية. ولذلك أعلن التحالف الديني في المؤتمر الأوربي المقدس[٧٧] سنة (١٨١٥م) عزْمَ المتعاقدين القويّ على ألاّ يتخذوا لسياستهم وتسيير شؤونهم وحل مشكلاتهم إلا قواعد الدين النصراني، وأنهم يتبعون هذه الخطة لأنهم يعتبرون أنفسهم مندوبين من العناية الإلهية المباشرة الحكم،[٧٨] ويعدّون أنفسهم أسرة واحدة، رغم أنهم يحكمون بلداناً متعددة ويتبؤون عروشاً متفرقة. ولكن هؤلاء الأوربيين لم يجدوا في النصرانية ضالّتهم المنشودة من القوانين والمنظم السياسية فانطلقوا في أمور الغزوة والسلم وفي معاملة الشعوب يتصرفون تبعاً لأهوائهم، ولم يكن لهم من مثالية النصرانية شيء، ومن العجيب أنهم ظلوا حتى عام (١٢٧٣هـ ١٨٥٦م) يعتقدون أن أحكام الحقوق المدنية لا ينبغي تطبيقها إلا على بلاد نصرانية.

وأعجب من ذلك أن "البابا نيقولا" الرابع *Pope Nicholas IV* (٦٨٧ – ٦٩٢هـ، ١٢٨٧ – ١٢٩٢م) و "البابا أوربانوس" السادس *Pope Urbanus VI* (٧٨٠ – ٧٩٢هـ، ١٣٧٨ – ١٣٨٩م) لم يجدا ضيراً في إصدار مثل هذه الفتوى التاريخية التي تنص على أن الضرر إثم، ولكن الوفاء مع المسلمين أكثر إثماً.[٧٩] وفي هذه المرحلة لم تكن العائلة الدولية كاملا. وكانت قاصرة على البلاد النصرانية فحسب. وقد سمح "البابا" *Pope* بركاته في المرحلة لكل نصارى يحاول أن ينتقم من الفكرة المسلمين واستهدفت حركة الكشوف الجغرافية تفريق العالم الإسلامي واكتشاف طرق للتجارة مع الشرق لا تمرُّ بالعالم الإسلامي.[٨٠] وهكذا سوّغ رجال الدين النصرانيون الفترة الإستعماري بنية ديني في البداية هو القضاء على دين الإسلام واستحلُّوا أي ضربات توجه للأنظمة الاقتصادية والاجتماعية للدول الإسلامية. ولم يكن ثمة حرج عندهم في الاستيلاء على أراضي الدول غير النصرانية وفتح أقاليمها واستعباد أهلها كما تشاء ولو اعتنق أهلها

---

[٧٧] ضميريّة، عثمان جمعة. (١٤١٩هـ/١٩٩٩م). **أصول العلاقات الدولية في فقه الإمام محمد بن الحسن الشيباني**. ط١. دار المعالي. ص ٢٠٣.

[٧٨] قطب، محمد. (١٤٢٠هـ-١٩٩٩م). **المستشرقون والإسلام**. ط١. القاهرة: مكتبة وهبة. ص١٨.

[٧٩] محمد عميد الله. (د.ت). **أحكام أهل الذمة**. ج١. (د.ن). ص٨٠-٨١.

[٨٠] ضميريّة، عثمان جمعة. (١٤١٩هـ/١٩٩٩م). **أصول العلاقات الدولية في فقه الإمام محمد بن الحسن الشيباني**. المرجع سابق. ص ٢٠٤.

النصرانية بعد ذلك، لأن الأوربي يشعر أنه سيد العالم، وهو الشعور الذي ورثوه كما ورثه الغربيون في المدينة المعاصرة عن الرومانيين.[٨١] من هنا سمي النظام الدولي الذي كان يشرف على العالم وقتئذ بنظام ((المؤتمرالأوربي)) *European conference* ركزاً إلى أن تصريف شؤون العالم كان يتم في تلك المؤتمرات التي تعقدها بلاد "أوروبا" *Europe* الكبرى، وقد كان لهذا المؤتمر أثر عظيم في تطوير القانون الدولي العام وتحديد الكثير من قوانينه بتدوينها في الاتفاقيات الدولية الكبرى التى أبرمت في نهاية القرن السابقة وأوائل القرن الحالي.[٨٢]

ومن جانب أخري، يمكن القول بأن التحالف المقدس *Holy Alliance* امتداد للحروب الصليبية، إذ أن القرابة نصَّ على تثبيت قواعد الأخلاق النصرانية، وقام عمل البلاد المتحالفة شاهداً على ذلك؛ فقد نفسها مهيمنة على البلاد الأخرى في شؤونها الداخلية والخارجية بحجة الأمن العام في "أوروبا" *Europe*؛ فقد ثارت اليونان وكانت منطقة تركية على الدولة العثمانية، فتدخلت البلاد الكبرى بنية إنقاذ أبناء نصراني من التبعية لدولة إسلامية، وأعلنت استقلال اليونان عام (١٨٣٠م)، كما سائدت حركة الانفصال عن الدولة العثمانية. وهكذا ما حدث عندما حاولت أيضاً رومانيا *Romania* والصرب *Serbia* وبلغاريا *Bulgaria* الانفصال عن الدولة العثمانية فأعانتها البلاد الأوربية النصرانية الكبرى، كما تدخلت في بلاد أخرى. وأن أقوى الأدلة على ذلك أيضاً: ما كتبه أحد رجل سياسي فرنسا في عهد لويس الرابع عسر، *Louis XIV of France* حيث قال: "إن على فرنسا أن تنتهز فرصة السلام الذي تنعم به أوربا بعد حرب العالم السنوات السبع وتنقضّ على الدولة العثمانية لتقيم صرح المسيحية وتستخلص الأراضي المقدسة، وإن مشروع قناة السويس *Suez Canal* مشروع صليبي، ويجب أن تكون ملكاً مشتركاً للعالم المسيحي".[٨٣]

- وأما في المراحلة الثانية من العصور الحديثة فقد اتخذت البلاد الأوربية فيها أساساً جديداً للعلاقات الخارجية، وهو ((المدنية))، *Civil Society* بمعنى أن البلاد المتمدينة يصح أن يعترف لها بالشخصية الدولية، وأن يكون لها حق التملك، وأن تكون عضواً في العائلة الدولية. وكان السبب في العدول عن الأساس الأول هو اضطرار البلاد الأوربية في إتفاق

---

[٨١] عبد السلام، جعفر. (د.ت). **قواعد العلاقات الدولية**. ط١. القاهرة: مكتبة السلام العالمية. ص٦١-٦٢. وصفي، مصطفى كمال. (١٣٩٧هـ). **مصنفة النظم الإسلامية**. دط. مصر: مكتبة وهبة. ص ٢٨٠.

[٨٢] أبوهيف. (د.ت). **القانون الدولي العام**. دط. (د.ن). ص٤٤.

[٨٣] العريان، عبد الله. (١٩٥٥م). **فكرة التنظيم الدولي**. دط. (د.ن). ص ٢٢٣-٢٢٨. العبدة، محمد. (١٤١٦هـ). **التعصب الأوربي أم التعصب الإسلامي**. ط١. مائة مشروع لتقسيم الدولة العثمانية. الرياض: دار طيبة.

صلح باريس *Paris Reconciliation* عام (١٨٥٦م) إلى قبول الدولة العثمانية عضواً في العائلة الدولية لاعتبارات تتعلق بالتوازن الدولي، فتشارك البلاد النصرانية في الحقوق والواجبات الدولية على أصل المساواة.[٨٤] غير أن هذه العضوية في الأسرة الدولية ظلت ضعيفة بالنظر إلى استمرار بقاء نظام الامتيازات الأجنبية فيها حتى سنة (١٩٢٣م). وبعد نصف قرن من الزمان بيّنت مثل هذه الفرصة لليابا [٨٥] *Japan*. وهكذا دو اليك. ويبد أن هذا الضرب من المشاركة على الصعيد الدولي لم يبلغ أن يكون حقاً للبلاد غير النصرانية، بل كان منتهى أمره أنه عطاء تمنحه البلاد النصرانية لغيرها بشروطٍ أهمها أن تكون الدولة التي لا تدين بالنصرانية ذات حضارة ومدنية. ويعنى بالحضارة والمدنية حضارة "أوروبا" *Europe* ومدنيتها.

فما زال الفكرة "الأوربي" *European Union* أسير الرواسب الاستعلائية التي ظلّت عميقة تحت التربة "الأوربية" *Europe*، تكشفها عوامل التعرية من حين إلى حين. ففي تصريح لأحد رؤساء الحكومات الهولندية *The Dutch Government* في البرلمان الهولندية *The Dutch Parliament* في ٤ ديسمبر *4th December* سنة (١٩٥٦م) يقول:

((إن الدولة المسيحية وحدها هي التى تستطيع أن تميز بين العدل وغير العدل، وبين الغزوة المشروعة والغزوة غير المشروعة)) وتساءل عما إذا كان المسلم أو الهندي يستطيع أن يعي معنى العدوان، لأن إدراك مثل هذا المعنى قاصر على الدول ذات الثقافة المسيحية))! [٨٦]

وأما الأستاذ ((لوريمر)) *Lorimar* فإنه قسم العالم بالنظر إلى الشرائع الدولية إلى ثلاثة طبقات كما تقدم الأولى تتمتع بجمع الحقوق، وهي الشعوب المتمدينة التي تشمل فى أكثر الأحيان الأمم النصرانية. والثانية تتمتع بقسم منها وهي الشعوب البربرية *Barbarians*، أي التي تعتبر نصف متمدينة، وتدخل فيها الأمم الإسلامية. والثالثة لا تتمتع إلا بجزء يسير من معاملة البشر للبشر، وهي الشعوب المتوحشة![٨٧] هذا، وقد استغلت البلاد الأوربية شعار المدنية لترتكب به أفظع الجرائم على الإنسانية؛ فقد احتلت أقاليم البلاد

---

[٨٤] ضميريّة، عثمان جمعة. (١٤١٩هـ/١٩٩٩م). **أصول العلاقات الدولية في فقه الإمام محمد بن الحسن الشيباني**. دط. دار المعالي. ص ٢٠٦-٢٠٧.

[٨٥] ياقوت، محمد كمال. (١٩٧٠م). **الشخصية الدولية**. (د.ن). القاهرة. ص ٢٧٧. عبد السلام، جعفر. (د.ت). **قواعد العلاقات الدولية**. ط١. القاهرة: مكتبة السلام العلامية. ص ٦٣.

[٨٦] الجمل، يحيى. (د.ت). **تطور المجتمع الدولي**. (د.ن). ص ٣٧.

[٨٧] البنا، محمد. (١٣٦٧هـ). **قواعد القانون الدولي العام في الإسلام**. (د.ن). القاهرة: مقال في مجلة لواء الإسلام، العدد العاشر. جنينة، محمود سامي. (١٩٤٤م). **القانون الدولي العام**. دط. مرجع سابق. ص ٣٨ – ٣٩.

الأخرى بنهم شديد، وراحت تستغلها أبشع استغلال، وتنقل مواردها إليها، وعلى أصل ذلك قامت الثورة الصناعية فى "أوروبا" *Europe* وتكونت هياكها الاقتصادية الضخمة. والجملة: تمّ بناء الحضارة الأوربية الصناعية. وهكذا صبغ الغرب الصِّلات الدولية في المدة التى سيطر فيها على العالم بصبغة غير بشرية، وبنى صِلاته على أصل السلب والنهب. والقاعدة فى هذا إحلال بركات المدنية الغربية على الشعوب البربرية غير "الأوربية" *Europe* ، وحقيقة الأمر كما هو معروف هو الإستيلاء على الموارد العريضة للمادة الأولية اللازمة للصناعات "الأوربية" *Europe*، وإخضاع أهالي الشرق في استخراج هذه المادة بأزهد الأجور.[٨٨] وعاونها على ذلك كله نظام الامتيازات الأجنبية في البلاد الإسلامية، فتمكنت بهذه الوسيلة من الاحتفاظ لنفسها ولرعاياها بأوضاع ممتازة، والاستمتاع بحقوق لم يكن يستمتع بها مواطنو البلاد الإسلامية أنفسهم، واكتسبت لنفسها ولرعاياها كذلك إعفاءات واسعة المدى. وقد شمل نظام الامتيازات الأجنبية البلاد الآسيوية البوذية أيضاً.

كما أن البلاد الأوربية النصرانية أنشأت بعض الشركات الاستغلالية كشركة الهند الهولندية *Dutch India Company* والشركة الإنجليزيةُ *English Company* لتمهد لها استعمار بعض البلاد الآسيوية، ومنحت هذه الشركات سلطات مطلقة فيما يتعلق بالمعاملة التي فرضتها على البلاد المغلوبة على أمرها.[٨٩] وهذا التسابق في طريق التسلط، وتجادل مجموعة البلاد الغربية الكبرى في حصول جميع بلد منها على أدسم قطعة في الفريسة الصريعة وهي بلدان الشرق الأدنى والأوسط والأقصى وشعوبها وما بين الشعوب الغربية من حزازات وأحقاد أو غرت الصدور وأذكت نيران الأخذ بالثأر هذا كله كان المسؤول الأول عن اندلاع الحرب العالمية الأولى (١٩١٤م) واستمرت أربع سنوات عجاف تعرض فيها البشرية لأهوال قاسية، وقلبت نظام "أوروبا" *Europe*، وامتد أثرها إلى مختلف بلاد العالم. ولما هدأت هذه العاصفة اجتمعت البلاد من جديد في مؤتمر باريس (١٩١٩م) *Paris Conference* لإعادة بنيان البلاد الذي كان على شفاجرف هار فانهار به،[٩٠] وهنا تظهر مرحلة جديدة للقانون الدولي في العصور الحديثة اتسع فيها المجال أمام كثير من البلاد للدخول في عضوية الأسرة الدولية بعد أن كانت محرومة منها بحجة أنها لا ترقى إلى

---

[٨٨] ضميريّة، عثمان جمعة. (١٤١٩هـ/١٩٩٩م). **العلاقات الدولية في فقه الإمام محمد بن الحسن الشيباني**. دط. دار المعالي. ص ٢٠٨.

[٨٩] سلطان، حامد. (د.ت). **أحكام القانون الدولي في الشريعة الإسلامية**. دط. (د.ن). ص١٠

[٩٠] جنينة، محمود سامي. (١٩٤٤م). **القانون الدولي العام**. دط. مرجع سابق. ص٦٩.

مستوى الحضارة الأوربية، وبعد الحرب العالمية الثانية تمكن بلاد أخرى من الدخول في هذه العضوية الدولية.

- المرحلة الثالثة؛ وهي مرحلة التنظيم الدولي. وفيها اتخذت البلاد الأوربية من السلم أساساً للقانون الدولي، نتيجة لنمو الثقافة ونشاط التعامل بين الأمم تبعاً لاتساع وسائل النقل وتبادل الرأي، والأن المرحلة الجديدة تقتضي أن تتغير الواجهة والأساس في الصِّلات الدولية عمّا كانت عليه من شكل استعمارية مكشوفة في المرحلة الماضي. وصارت آراء الكتاب والمثقفين كلها تضرب على نغمة وجوب وضع حدٍّ لسباق التسلح وإنشاء تحكيم دولي من أتباع فرقة الجبرية، ووضع أسس لسلامٍ عالمي. وإن كان لا مفرّ من الالتجاء إلى السلاح فلا أقل من قيام قواعد بشرية لتخفيف ويلات الغزوة وآلامها.[٩١]

وانتهى مؤتمر باريس (١٩١٩م) *Paris Conference* في أعقاب المعركة الأولى، بخمسة إتفاقيات صلح فرضت على البلاد الخمسة المنهزمة وسوّيت فيها المسائل الإقليمية على أصل مثلث روعي فيه بنسب متفاوتة فكرة التوازن الدولي من ناحية، ومصالح البلاد الكبرى من ناحية ثانية، ورغبات الشعوب الأوربية وعواطفها القومية من ناحية ثالثة. وانجازً لذلك وزعت الممتلكات الألمانية والتركية على البلاد الأقوى عن طريق نظام الانتداب الذي استحدثه هذه المؤتمر ليطلي به الاستعمار بطلاء جديد يخفف من اصطدامه بالشعور الوطني لشعوب هذه الممتلكات، كما قصد منه مخاتلة الشعوب التي وعدت أثناء المعركة بالحرية والاستقلال وحق تقرير المصير؛ فبقيت مصر *Egypt* تحت الحماية الإنجليزية، ولم يسمح لوفدها بشهود مؤتمر السلام*Peace Conference* ووضعت سورية *Syria* تحت الحماية الإنجليزية، ووضعت فلسطين *Palestine* تحت الانتداب الإنجليزية. وقيل لهذه الشعوب: إن الانتداب وسيلة لتدريب أهل الدول على الحكم والسياسة وبعدها يأتي الاستقلال. وبذلك فتّتت البلاد الكبرى البلاد العربية الإسلامية وجزأتها إلى أجزاء ودويلات.[٩٢]

---

[٩١] العمري، أحمد سويلم. (د.ت). **العلاقات السياسية الدولية**. دط. القاهرة: مكتبة الأنجلو. ص ١٤٣– ١٤٤.

[٩٢] منصور، علي. (١٣٩٠هـ-١٩٧١م). **الشريعة الإسلامية والقانون الدولي العام**. دط. القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ص ٦٦-٦٨.

وكان كذلك من نتائج مؤتمر باريس (١٩١٩م) *Paris Conference* النص على إنشاء عصبة الأمم *The league of nations* لتكون أداة لحفظ السلم العام ولتوطيد الصِّلات الودية بين البلاد.[٩٣]

مميزات العلاقات الخارجية في عصور الأمم المتحدة *United Nations*، وبالتالي أهم ميزات القانون الدولي الذي يحكم هذه العلاقات. وهي كما يذكرها الشراح وعلماء القانون الدولي خمسة ميزات أو سمات:

- العالمية؛ فالعائلة الدولية التي كانت تضم في القرنين السابع عشر والثامن عشر بلاد "أوروبا" *Europe* النصرانية فحسب، أصبحت أسرة دولية تشمل ما يزيد عن مائة وثمانين بلد، فأصبح القانون الدولي الأوربي النصراني قانوناً عالمياً دولياً. وإن كان هذا لا ينفي قيام صِلات إقليمية خارجية، ولذلك يميز بعض الشراح بين القانون الدولي العالمي والقانون الدولي الإقليمي.
- الشمول والتنوع؛ وذلك نتيجة لتطور العلاقات الخارجية من حيث المواضيع والشمول، وبذلك يجاوي القانون الدولي حاجات العصر ومتطلباته، ويساير هذا التطور ويفتح آفاقاً جديدة لم تكن تخطر ببال المهتمين به في القرون السالفة.
- الإختلاف على المفاهيم الأساسية للقانون الدولي؛ نتيجة خروج القانون الدولي من نطاق البلاد الأوربية إلى النطاق العالمي، فأصبح من الضروري المعاهدة على مبادئ وقواعد تساير روح الزمن. فبرز عندئذ تياران: أحدهما تقليدي والآخر تطوري يرفض الاعتراف بالعديد من الأعراف الدولية القديمة.
- بدأ زمن الأمم المتحدة *United Nations* بحرب باردة بين معسكرين؛ أحدهما بزعامة الولايات المتحدة *United States* والآخر بزعامة الاتحاد السوفيتي *Soviet Union*، وبينهما مجموعة من البلاد غير المنحازة، مبعثرة لا يقام لها وزن كبير في تقرير مصير العالم. وإن كانت بتجمعها أصبحت تعد عاملاً ذا قيمة في الصراع الذي يسمونه ((التعايش السلمي)) *Peaceful Coexistence*. على أن هذه البلاد ما تزال بعيدة

---

[٩٣] تعود الجذور التاريخية لنشوء عصبة الأمم إلى المدرسة اللاتينية أو الكاثوليكية في الرأي الأوربي والتي تعكس الطبيعة الرومانية القائمة على القسوة وعبادة القوة المادية والعرقية العقدي والروح الصليبية تجاه العالم الإسلامي. ياقوت، محمد كامل. (١٩٧٠م). **الشخصية الدولية**. دط. القاهرة: عالم الكتب. ص ٨٨٢.

عن أن تصبح عاملاً حاسماً في تقرير مصير العالم أو القواعد الناظمة للعلاقات الخارجية.

- تطبّع القانون الدولي بالقوى السياسية؛ فهو لا يملك إلا أن يخضع لتقلبات الأنواء السياسية العالمية، بوصفه قانون العلاقات الخارجية.[٩٤]
- وفي هذه الأيام تعود الأمم المتحدة *United nations* بعد سقوط الاتحاد السوفيتي *Soviet Union*، لتصبح تحت سيطرة البلد الأقوى وهي الولايات المتحدة الأمريكية *United States of America* ومن يدور في فلكها، ويعود القانون الدولي إلى طبيعته الأولى التي نشأ عليها في أحضان الحضارة الأوربية النصرانية في القرن السادس عشر الميلادي، أي الإغراق في العرقية والاستغلال لمن عداهم وعلى وجه الخصوص البلاد والشعوب الإسلامية، ونشأ ما يعرف بالكيل بمكيالين عند استعمال القانون الدولي، وانحرفت الأمم المتحدة *United nations* عن رسالتها، وبدأت تباشير زمن الهيمنة والاستغلال للبلاد والشعوب غير الأوربية في شكل استعمار من نوع جديد، قوامه تسخير هذه البلاد والشعوب لصالح الولايات المتحدة *United States* وحلفائها، وبخاصة إسرائيل، تحت غطاء أو شعار النظام العالمي الجديد.[٩٥]

---

[٩٤] شكري، محمد عزيز. (٢٠٠٠-٢٠٠١م). **مدخل إلى القانون الدولي**. ط٨. منشورات جامعة دمشق. ص ٣١ – ٣٢.

[٩٥] سرحان، عبد العزيز. (١٤١٦هـ). **العودة لممارسة القانون الدولي الأوروبي المسيحي**. ط١. القاهرة: دار النهضة العربية.